



الحركات السلفية والقتالية (5)

"فيلق الرحمن" آمال ثوريّة وصراع من أجل البقاء

تمهيد

هو أحد التشكيلات المسلحة الأساسية المعارضة للنظام في سوريا، العاملة ضمن نطاق جغرافي محدّد تقريباً في شرقي دمشق والقلمون الشرقي، وهو كسواه من الفصائل المسلحة مرّ بمراحل تطوّر تكويني منذ بداية الإعلان عن المعارضة السوريّة المسلحة، ونما خلالها، وصولاً إلى المرحلة الراهنة التي هو عليها. ويعدّ فيلق الرحمن أحد أهمّ مكوّنات الجيش السوري الحرّ في غوطة دمشق، وركيزته الأساسيّة، ويمتلك قدرات بشريّة (حوالي 9 آلاف مقاتل، وفقاً للمرصد السوري لحقوق الانسان¹) وعسكريّة وتجهيزيّة كبيرة، تضاهي ما تمتلكه فصائل كبرى، من قبيل "جبهة النصرة" و"أحرار الشام" و"جيش الإسلام" وسواها، ويعدّ ثاني أكبر الفصائل في الغوطة الشرقيّة لدمشق؛ إذ يسيطر على مدن بأكملها، كما يتمتع بنفوذ في أحياء عدّة في شرق دمشق، أبرزها جوبر وزملكا وعين ترما، وكذلك يتمتع بنفوذ مماثل في العديد من البلدات في الغوطة الشرقيّة، كعربين ومديرة وكفر بطنا وجسرين وبالا وزبددين ودير العصافير وحتيتة الجرش ومرج السلطان، إضافة للقلمون الشرقي والغوطة الغربيّة.

ووفقاً لما يذكره الفيلق، فإنّه تشكيل سوري، ذو صبغة إسلاميّة، غير سلفيّة ولا إخوانيّة، قادته وعناصره من السوريين فقط، ويعمل ضمن نطاق الجغرافيا السوريّة، ويحصر أهدافه في إطار الدولة السوريّة، ويحرص على وحدة الدولة السوريّة، ويعمل على حفظ مؤسّساتها الرسميّة. أما هدفه المعلن، فهو السعي "لإسقاط نظام الأسد، ورفع الظلم، والعمل على إقامة دولة الحقّ والعدل على الأرض السوريّة، بالتعاون مع الفعاليّات الثوريّة الناشطة على الساحة، وبكلّ الوسائل المشروعة"².

وفقاً لما ذكره الموقع الرسمي لـ"فيلق الرحمن"، تمّ الإعلان عن تشكيل "لواء البراء" في بداية أغسطس لعام 2012، نواة "فيلق الرحمن" بقيادة عبد الناصر الشمري، والذي كان نقيباً بالجيش السوري قبل أن ينشقّ عنه في أوائل عام 2012، وبعد ازدياد الأعداد أعلن عن تشكيل "فيلق الرحمن" في نهاية عام 2013. لقد اتّخذت المعارضة السوريّة في بداية أمرها في آذار عام 2011 شكل احتجاجات شعبيّة سلميّة، وربما عفويّة، تعبيراً عن موقف سياسي أو اجتماعي تجاه النظام في سوريا بقيادة الرئيس بشار الأسد، لكنّها سرعان ما تحوّلت إلى

¹ - قناة الغد، "فيلق الرحمن" .. فصيل معارض يقاتل النظام في دمشق ويفاوضه في جنيف، 24 آذار 2017.

² - فيلق الرحمن، الموقع الرسمي.

معارضة مسلحة، قادها أفراد أو مجموعة من الأفراد، من خارج المؤسسة العسكرية وقلة من داخلها، ممن وجدوا في الحراك العربي الثوري حالة تغييرية، نجحت في إسقاط الأنظمة القائمة فيها، بفضل انحياز المؤسسة العسكرية للحالة الشعبية الثورية، وترك السياسة وقادة السلطة وحدهم في مواجهة الحالة الشعبية الغاضبة، كما في تونس ومصر وليبيا.

وسعى قادة الحراك السوري المسلح إلى إسقاط النظام القائم بكل الوسائل المتاحة، بما فيها العنف واستخدام السلاح، وربما هاجس الخوف المستحكم من إمكانيات النظام القائم وقدرته على المواجهة والصمود وعدم الاستجابة الواسعة من جانب الجماهير الشعبية للخروج ضد النظام، بفعل بعض الاعتبارات، الاجتماعية والثقافية- السياسية والأمنية، المتصلة بطبيعة المجتمع السوري وارتباطه بالنظام السوري، دفع بهؤلاء إلى استعجال استعمال الوسائل غير السلمية، والعمل على إحداث انشقاقات واسعة داخل المؤسسة الأمنية والعسكرية السورية، واستمالتها ضد النظام القائم، وساعد على ذلك الدعم الخارجي الذي برز بقوة على المستويين السياسي والميداني المباشر، لتوفير ما يلزم لتحقيق هذا الهدف، وكذلك الدخول المباشر للتيار القاعدي والسلفي الغريب عن طبع المجتمع السوري على خط تشكيل الخلايا والجماعات المسلحة ومحاولة الإمساك بأوراق لعبة إسقاط النظام، وإقامة أمانة أو دولة الخلافة على غرار النموذج الطالباني في أفغانستان. وقد أدى ذلك إلى نشوء خلايا وجماعات مسلحة من المدنيين المتحمسين والعسكريين المنشقين عن المؤسسات العسكرية والأمنية، وهم القلة، ونجح البعض منهم باستمالة الكثير من الشبان المدنيين، وتدريبهم وتجهيزهم- قبل أن تبرز الحركات السلفية، وتحتل المشهد الميداني في سوريا، وتبسط سيطرتها على المساحة الأكبر من أراضيها- وإنشاء قوى مسلحة معارضة بديلة عن الجيش السوري النظامي، وبعضها بإشراف إقليمي ودولي مباشر، بدءاً بإعلان المقدّم "حسين هرموش" وعدد من المقاتلين معه في 15 آذار 2011 الانشقاق عن الجيش السوري وتشكيل ما سمي بـ "حركة الضباط الأحرار"، ثم إعلان العقيد المنشق رياض الأسعد في 29 تموز 2011 تأسيس ما عرف باسم "الجيش السوري الحر"، مروراً بتشكيل "المجلس العسكري المؤقت للجيش السوري الحر" برئاسة الأسعد في 14 تشرين الثاني 2011، بعد توسيع صلاحيات هذا الجيش، وصولاً إلى تشكيل "القيادة المشتركة للمجالس العسكرية الثورية" وانتخاب الضابط المنشق العميد سليم إدريس في 8 أيلول 2012 رئيساً له³.

ظروف نشأة فيلق الرحمن

في أوائل عام 2012 أعلن النقيب عبد الناصر الشمير انشقاقه عن الجيش العربي السوري، وما لبث أن أعلن في بداية آب من العام نفسه عن تشكيل قوة مسلحة معارضة للنظام، عرفت باسم "لواء البراء"، وفي أواخر العام 2013، حقق الجيش السوري وحلفاؤه تقدماً ملحوظاً على جيئات غوطة دمشق، فضلاً عن تقدّمهم الساحق في جبهة القلمون شمال غرب العاصمة دمشق، وعلى وقع هذا التقدّم والضغط العسكري، بدأت فصائل المعارضة المسلحة في هذه المناطق بالالتفاف حول لواء البراء والاندماج معه.

³ - أنظر: المعارضة المسلحة في سوريا، الجزيرة، 5 أيلول 2013.

ومع تزايد أعداد الملتحقين بهذا اللواء وحالات الاندماج مع خلايا أخرى، وانضواء عدد من الألوية المسلحة تحت لوائه- كلواء "أبو موسى الأشعري، ولواء شهداء الغوطة، وكتائب أهل الشام، واللواء الأول في القابون وحي تشرين، وكتيبة العاديات في الغوطة الغربية- أعلن في نهاية عام 2013 عن تشكيل "فيلق الرحمن بقيادة النقيب شمير، وقد شهد الفيلق تزايداً في القوّة وتنامياً بفعل انضمام المزيد من المقاتلين في صفوفه واندماج المزيد من القوى والجماعات المسلحة معه وانضوائها الكامل تحت لوائه⁴، أبرزها في 18 شباط 2016، حيث أعلن مقاتلو "الاتحاد الإسلامي لأجناد الشام" المتمركزين في الغوطة الشرقية "اندماجهم الكامل" معه، بالإضافة إلى اندماج جماعة مرتبطة بالجيش السوري الحر سابقاً ومسلحة بصواريخ تاو، بعد أن تركوا الجبهة الجنوبية.

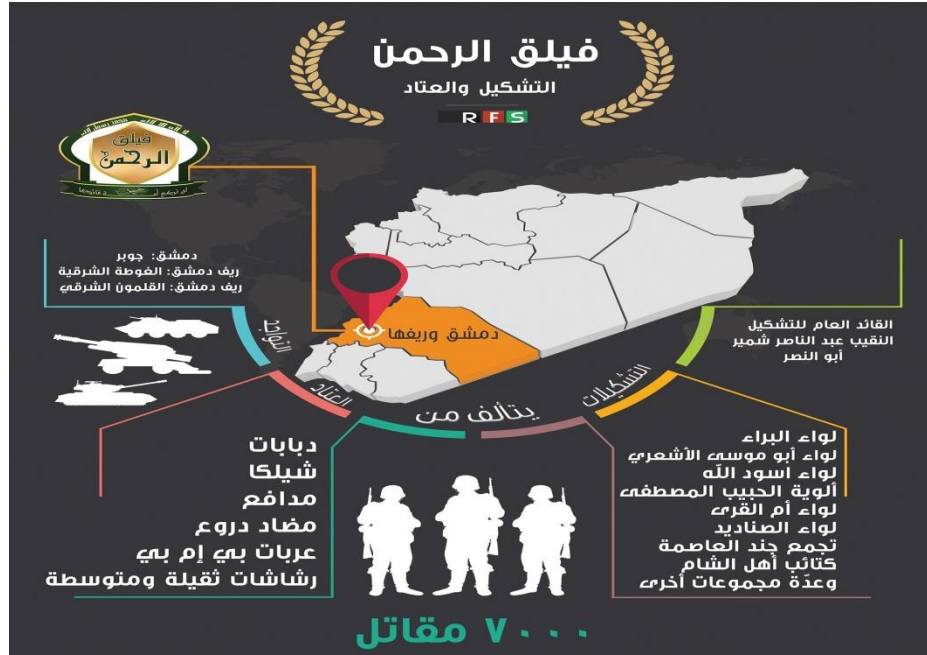
ووفقاً لقائد "فيلق الرحمن" شمير، فإنّ هدف تشكيله العسكري يتمحور حول أمرين أساسيين: أولاً، السعي "لإسقاط النظام"، وثانياً، "إقامة الدولة التي يرتضيها الشعب". أما الأسباب الحقيقية والهدف الأساسي منه التي دفعت لاندماج الفصائل بعضها مع بعض، فهو، كما يذكر شمير نفسه، "تنظيم وتوحيد الصفوف"، وكذلك "الحاجة الماليّة" التي قد تكون أجبرت الكثير على ذلك، وليس الأدلجة هي السبب، رغم أنّ جميع التشكيلات تسعى لهدف واحد هو إسقاط النظام⁵. وبحسب شمير، فإنّ "التجارب المبررة له مع المجالس العسكرية أدّت إلى انفصاله عن المجلس التابع لهيئة الأركان وعن الحكومة السورية المؤقتة التابعين للمعارضة"⁶.

⁴ - الألوية المنضوية تحت فيلق الرحمن: لواء البراء - لواء أبو موسى الأشعري- لواء شهداء الغوطة- تجمع جند العاصمة- كتائب أهل الشام- لواء هارون الرشيد- لواء القعقاع- لواء الحافظ الذهبي- لواء المهاجرين والأنصار- لواء عبد الله بن سلام- لواء أم القرى- لواء الصناديد- لواء أسود الله- لواء سيف الدين الدمشقي- الاتحاد الإسلامي لأجناد الشام- اللواء الأول في القابون وحي تشرين- كتيبة العاديات في الغوطة الغربية. (المصدر: موقع فيلق الرحمن الرسمي).

⁵ - الهدف الرئيسي (وفقاً لموقع فيلق الرحمن): إسقاط النظام الأسدي الجرم بكافة رموزه وأشكاله والعمل على:

- توحيد جهود القوى العسكرية والمدنية كافة داخل سورية و خارجها.
- محاربة الميليشيات الأجنبية الطائفية والقوى التكفيرية المقاتلة على الأرض السورية.
- العمل على تحقيق الاستقرار الأمني ضمن الأراضي السورية.
- المحافظة على مؤسسات الدولة وعلى الأملاك العامة التي هي ملك للشعب السوري.
- المحافظة على الأملاك الخاصة للأفراد و المؤسسات الخاصة السورية وغيرها.
- الدفاع عن حقوق الشعب السوري بكافة أطيافه وفق مبادئ الشرع الإسلامي الحنيف.
- التعاون مع باقي التشكيلات الثورية في بناء جيش يحافظ على وحدة البلاد وأمن الأفراد ويذود عن حدود الوطن.
- بناء دولة الحق والعدل والتنسيق مع كافة الفعاليات الثورية.

⁶ - سامح اليوسف، المعارضة المسلحة تعيد ترتيب صفوفها بالغوطة الشرقية، الجزيرة، 12 نيسان 2014.



فيلق الرحمن (التشكيل والعتاد) في 23 يوليو، 2015

بنية الفيلق الداخليّة

شهد "فيلق الرحمن" خلال فترات نموه وتطوره شكلين أساسيين من العلاقة الداخليّة لمكوّناته العامّة، تتمثّلان بحالات الاندماج والانشقاق، لا سيما مع علمنا المسبق بأنّ الفيلق هو عبارة عن فصيل مكوّن من عدّة ألوية أو جماعات، انضوت في تشكيل "لواء البراء" الذي انبثق منه الفيلق، ما يجعل من بناه التنظيميّة عرضة للتمدّد والتقلّص، تبعاً للتحديات وللظروف والتوافقات الداخليّة لقادة الفيلق التي يأتلف منها، وفي هذا السياق شهد الفيلق حركة متأرجحة على هذا الصعيد، أبرزها:

1. الاندماج

شهد "فيلق الرحمن" العديد من حالات الاندماج مع جماعات كانت مستقلّة أو ناشئة، وإنّ غلب عليها المصلحة أكثر من القناعات الفكرية، ومن أبرزها:

- إعلان القيادة العامّة في تجمع "جند العاصمة" العامل في حي جوبر شرقي مدينة دمشق، يوم الاثنين 29 حزيران 2015، عن اندماجه الكامل مع "فيلق الرحمن"، وكانت عدّة فصائل مسلحة في حي جوبر أعلنت في أولى أيام العام 2015، عن توحيد جميع الفصائل العسكريّة المقاتلة في الحي تحت مسمّى "جند العاصمة".⁷
- إعلان "الاتحاد الإسلامي لأجناد الشام" في غوطة دمشق الشرقيّة، يوم الخميس في 18 شباط 2016، عن اندماجه التام تحت راية "فيلق الرحمن"، مشيراً إلى أنّ الاندماج جاء "سعيّاً لتوحيد صفوف الثوار، وجمع كلمتهم". لكنّ واقع الأمر لم يكن كما هو معلن، بل محاولة احتواء وتوفير ملاذ من سطوة "جيش الإسلام"،

⁷ - أجد التيناوي، جند العاصمة تعلن اندماجها ضمن "فيلق الرحمن" في دمشق، كلنا شركاء، 29 حزيران 2015.

وبدا ذلك من أمرين: الأول، أنّ الاندماج وفقاً للقيادي في "أجناد الشام" أبو البشر منحصر "في الغوطة الشرقية فقط، ولم يتوسّع ليشمل بقية امتداداتهم في سوريا ... أمّا في درعا وجنوب دمشق والغوطة الغربية والحرمون وقطاع الشمال وحماة، فقد بقيت على حالها. والثاني، إعلان المتحدث السابق باسم "الاتحاد الإسلامي لأجناد الشام" وائل علوان، عبر تغريدات في "تويتر" عن محاصرة "جيش الإسلام" بعض مقرّات "الاتحاد الإسلامي لأجناد الشام" في الغوطة الشرقية، وإجبار عناصرها على تصوير بيانات انضمام للجيش بعد معرفته باتّفاق الاتحاد للاندماج مع "فيلق الرحمن". وفي اليوم التالي لإعلان الاندماج، الجمعة، خرجت بيانات عن كتائب ومجموعات من "الاتحاد الإسلامي لأجناد الشام" تعلن انضمامها إلى "جيش الإسلام" لا "فيلق الرحمن". ومن تلك المجموعات، كتيبة "الأنصار والمهاجرين" و"المكتب الأمني للأجناد" و"إدارة الاستخبارات العامة لـ"الاتحاد الإسلامي لأجناد الشام"⁸.

- إعلان اللواء الأوّل العامل في حيّ القابون وتشرين في دمشق، يوم الثلاثاء 26 نيسان 2016، اندماجه الكامل مع فصيل فيلق الرحمن⁹.
- إعلان قسم "كبير" من كتيبة "م. د" التابعة لـ "حركة أحرار الشام الإسلامية"، السبت 29 تموز 2016، انضمامهم مع أسلحتهم وذخائرهم إلى فصيل "فيلق الرحمن" في الغوطة الشرقية¹⁰.

2. الانشقاق

تزايدت قوّة "فيلق الرحمن" وتوسّع نفوذه بانخراط المزيد من العناصر المدربة وانضمام فصائل وجماعات أخرى في صفوفه، وعدّ التحاق "الاتحاد الإسلامي لأجناد الشام" المتمركز في الغوطة الشرقية واندماجه الكامل معه، في 18 شباط 2016، الحدث الأبرز؛ ذلك أنّه مدّ الفيلق بقوة إضافية ملحوظة، نظراً إلى القوّة الذاتية الخاصّة، البشرية والعسكريّة، التي يمتلكها ونقاط التمرکز والانتشار التي يتمتّع بها. وقد سعى قائد الفيلق، منذ البداية، كما هو حال الفصائل القويّة الأخرى إلى بناء قوّة العسكريّة وتنمية قدراته الذاتية، عبر طرح شعار توحيد الصّفوف والجهود لمواجهة النّظام، وفي الوقت عينه، من أجل حماية وجوده وصوناً لنفسه من الافتراس وأن لا يكون لقمة سائغة لغيره من الفصائل. وقد مرّ أنّ الهدف المعلن من تشكيل الفيلق هما السعي "لإسقاط النّظام"، و"إقامة الدّولة التي يرتضيها الشعب". إلا أنّ الأسباب الحقيقيّة الأساسيّة هي "تنظيم وتوحيد الصّفوف" وتلبية "الحاجة الماليّة" التي قد تكون أجبرت الكثير على ذلك. أمّا الأدلجة، فلا علاقة جوهريّة لها بذلك، ما دام أنّ الفصائل تلتقي على هدف واحد "هو إسقاط النّظام"، وعمليات الاندماج والانفصال هي حالات عاديّة، يمكن أن تشهدها الفصائل، ويعود لها، مع توقّر القدرة والحماية اللازمة، أن تختار ما تشاء، وقد سبق للفيلق أن انفصل عن المجلس التابع لهيئة الأركان وعن الحكومة السوريّة المؤقّتة التابعين للمعارضة¹¹، غير أنّ مثل هذه العمليّات كثيراً ما تحدث جرّاء تنافس داخلي ومدّ النفوذ

⁸ - معاوية حمود، "أجناد الشام" تتفرق بين "فيلق الرحمن" و"جيش الإسلام"، المدن، 21 شباط 2016.

⁹ - عنب بلدي أونلاين، اللواء الأوّل يندمج تحت راية فيلق الرحمن في دمشق، 26 نيسان 2016.

¹⁰ - عنب بلدي أونلاين، فيديو.. كتيبة من فيلق الرحمن تنشق وتباعد جيش الإسلام، 28 نيسان 2016.

¹¹ - سامح اليوسف، المعارضة المسلحة تعيد ترتيب صفوفها بالغوطة الشرقية، مرجع سابق.

ومحاولة الهيمنة على البنية العامة في الفصيل وتفقو جماعة على أخرى، أو عدم نجاح التجربة، وإعادة التوضع مجدداً بصورة مستقلة، أو بالالتحاق بجماعة أخرى، وهكذا.

ومن أبرز الانشقاقات التي شهدتها فيلق الرحمن:

- إعلان كتبية "الدفاع الجوي" التابعة لـ"فيلق الرحمن" في الغوطة الشرقية، الانشقاق عن الفيلق، ومبايعتها قائد "جيش الإسلام" عصام بويضاني، يوم الخميس 28 نيسان 2016، على خلفية الأحداث التي شهدتها الغوطة. وكان "فيلق الرحمن" و"جيش الفسطاط" داهما مقرات "جيش الإسلام" في مدن وبلدات القطاع الأوسط من الغوطة الشرقية، ما خلف عدداً من القتلى والجرحى بين الطرفين¹².
- وقوع اشتباكات بين "الفيلق" وبين "لواء عربين" الذي أسسه "أبو أيمن مفيد" تابع للفيلق، عقب اعتقال الأخير في آب من العام 2016، لاتهم "مفيد" بالانتماء لتنظيم "داعش"، علماً أن مصادر رجحت أن الاعتقال جاء خشية انشقاقات كبيرة في صفوف الفيلق جراء تأسيس لواء عربين من جهة، وبسبب تفتت القاعدة الشعبية، لخلاف الفيلق حينها مع "جيش الإسلام"¹³.
- إعلان كل من لواء "أبي موسى الأشعري" الذي يقوده (أبو محمود حمندوش) الملقب (بالصقر) ولواء "أم القرى"، في بيان يوم الثلاثاء 25 تشرين الأول 2016، انفصالهما عن لواء "البراء" الممثل في فصيل "فيلق الرحمن"، وأشارا إلى أن السبب يعود إلى "الخلافات الكبيرة داخل الفيلق على مستوى القيادة فيما يخص الاقتتال الداخلي وسقوط مدن وبلدات الغوطة وتهجير مواطنيها". ووفق مصدر، فإن اللواء الذي يتكون بغالبه من أهالي بلدة حمورية، وانضم إلى "البراء" عام 2012، قد عاد وفك اندماجه ليعود فصيلاً مقاتلاً مستقلاً، على حد وصفه¹⁴. علماً أن الفصيلين كانا قد اتحدا تحت مسمى "فيلق الرحمن" أوائل عام 2012، مع تشكيلات عسكرية أخرى¹⁵. وعزا لواء "أم القرى" انشقاغه عن الفيلق في بيان له أنه "نتيجة الخلافات داخل "فيلق الرحمن" على مستوى القيادة، فيما يتعلق بالاقتتال وسقوط المدن و بلدات الغوطة". وتزامنت الانسحابات مع الإعلان عن تشكيل جديد "ألوية المجد"، قوامه العناصر المنشقة عن "فيلق الرحمن" مع بعض الضباط المنشقين، وكذلك تاركي القتال، بينما عمد لواء "أم القرى" إلى تشكيل "سرايا الشام" كجسم جديد له.
- من جانبه، قال "فيلق الرحمن" في بيان له إن العناصر المنشقة عن "فيلق الرحمن" متهمون بمحاولة اغتيال قيادات "فيلق الرحمن" في أحد مقرات بلدة "حمورية" في الغوطة الشرقية¹⁶.
- وقوع اشتباكات يوم الأربعاء 8 آذار 2017 بين عناصر من "فيلق الرحمن" وآخرين من مجموعة "أبو الجود العربي"، وهي مجموعة كانت علقت عضويتها في الفيلق، وانفصلت عنه بسلاحها ومقاتليها، ووقعت الاشتباكات على خلفية محاولة بعض مقاتلي "فيلق الرحمن" الدخول إلى نقاط تمرکز "العربيين"¹⁷.

¹² - عنب بلدي أونلاين، فيديو.. كتبية من فيلق الرحمن تنشق وتبايع جيش الإسلام، المرجع السابق.

¹³ - عنب بلدي أونلاين، توتر في عربين بين "فيلق الرحمن" ومنشقين عنه، 9 آذار 2017.

¹⁴ - انظر: عنب بلدي أونلاين، أكبر ألوية "فيلق الرحمن" ينفصل عنه بسبب خلافات على مستوى القيادة، 25 تشرين أول 2016.

¹⁵ - زين كيالي، "لواء الأشعري" ينشق عن "فيلق الرحمن" بالغوطة الشرقية، بلدي نيوز، 25 تشرين الأول 2016.

¹⁶ - زمان الوصل، الغوطة.. مقتل 20 عنصراً للنظام وانشقاق لواءين عن "فيلق الرحمن"، 26 تشرين أول 2016.

- إعلان القائد الأسبق لـ "الاتحاد الإسلامي لأجناد الشام"، "أبو محمد الفاتح"، في تغريدة على حسابه في "تويتر"، مساء الأحد 20 آب 2017، استقالته من "فيلق الرحمن"، وقد علل "الفاتح" استقالته بأنها تأتي رفضاً للخلافات والافتتال الحاصل بين فصائل الغوطة الشرقية¹⁸.

وعليه، إنّ العلاقة جمعت الفيلق ببعض الفصائل أو الأولوية الأخرى، وأهمها "الاتحاد الإسلامي لأجناد الشام"، تدلّ في أسبابها الخفية على هشاشة الارتباط والنوايا المضمرة لدى المتحدين، وتتعلّق بطموحات قادة الاتحاد بمّد شبكة خطوط في الفيلق وبسط النفوذ داخله، بما يحقّق السيطرة الداخلية عليه والهيمنة على قراره، ودهاء قائد الفيلق وطموحه المماثل تجاه الاتحاد؛ فقد "ظنّ قادة الاتحاد" أنّ أمر "الفيلق" سيؤول إليهم، كما حدث سابقاً في قيادة "شباب الهدى"، خصوصاً مع اقتناعهم أنّ "الحاضنة الشعبية" تؤيّد لهم بسبب توجّهم "الإسلامي المعتدل" مقابل توجّيات "جيش الإسلام" السلفية، وتوجّه "فيلق الرحمن" المنتهي للجيش السوري الحر. لكنّ قائد "فيلق الرحمن" كان متنبّهاً إلى خطر سيطرة قادة "الاتحاد" عليه وعلى "الفيلق"، فقام بتوزيع قوّة "الاتحاد" العسكرية على كتائبه، ولم يقبل بقاءهم ككيان له استقلاليتهم ضمن "الفيلق". وتمّ توزيع سلاح "الاتحاد" على كتائب "الفيلق" بحسب اختصاصها: المدرّعات والمدفعية والمشاة والقناصين والرشاشات الثقيلة، ويقود كلّ كتيبة قائد مخلص لقائد "الفيلق". وجعل شمير عناصر "الاتحاد" يتوزعون على الكتائب من دون أن تكون لهم سلطة، وضّم قادة "الاتحاد" إلى قيادة الأركان من دون أن يترك لهم أمام رجاله أيّ صلاحيات تذكر. لم يكن قادة "الاتحاد" يتوقّعون أن يفسلوا في السيطرة على "الفيلق"، فلجأوا بعدها إلى محاولة الانشقاق عنه، بعدما ساهموا في تأليب مكوّنات "الفيلق" على قائده. فانشقّ "لواء أبو موسى الأشعري" في حمورية، من دون أن يستطيع أخذ أيّ سلاح، وكذلك حدث في عربين. ومع تسليم قادة "الاتحاد" بأنّ نتائج انشقاقهم في وضع كهذا لن تكون أفضل ممّا حدث في حمورية وعربين، فقد لجأوا إلى الضّغط على قائد "الفيلق" ليكون لهم نصيبهم من مراكز القوّة والسلطة على السلاح. لكنّ النقيب رفض وظلّ متمسكاً بجعل الأمور ضمن حلّته الضيقة من المخلصين فقط. ومع انتهاء موسم القتال العام 2017، والذي بدأه "جيش الإسلام" هذه المرة، توجّه "فيلق الرحمن" إلى حمورية وعربين، لإجبارهم على العودة إليه، وهو ما تمّ فعلاً. وعاد قادة "الاتحاد" إلى موقف أضعف من السابق، لا يستطيعون معه الانشقاق ولا البقاء دون سلطة في "الفيلق". وبعد ذلك، تراجعت سلطة الإخوان إلى مجرّد نفوذ على المشايخ وبعض المؤسسات الحكومية، كمحافظة ريف دمشق في الحكومة المؤقّتة، وفقدوا، وهم "الحاضنة الشعبية" التي أثبتت انتخابات المجلس المحلي في مدينة سقبا عدم صحّتها. ولا يبدو "الإخوان" في وارد الاستسلام، وليس أمامهم أيّ خيار سوى الخروج من "الفيلق" دون سلاح، أو إشعال نزاعات داخلية لن تكون في مصلحة أحد¹⁹. وما إعلان القائد الأسبق لـ "الاتحاد الإسلامي لأجناد الشام"، "أبو محمد الفاتح"، الأنف، استقالته من "فيلق الرحمن"، إلا تعبيراً عن مأزق قادة الاتحاد، لا سيما في ظلّ ضعف التعليل الذي ذكره لقرار الاستقالة بأنها ترتبط برفض الخلافات والافتتال بين فصائل الغوطة الشرقية، فمن المعروف أنّ الاتحاد كان جزءاً أساسياً وفعّالاً من الحرب الدائرة، بل إنّ الفيلق حمّله مسؤوليّة الهجوم على "جيش الإسلام"، دون العودة إلى قيادة الفيلق، حيث خرج قادة "الاتحاد" في خطابات

¹⁷ - عنب بلدي أونلاين، توتر في عربين بين "فيلق الرحمن" ومنشقين عنه، المرجع السابق نفسه.

¹⁸ - (أبو محمد الفاتح) يستقيل من "فيلق الرحمن"، 22 آب 2017.

¹⁹ - عمر بقاء الدين، فيلق الرحمن و"أجناد الشام": صراع الخلفاء، المदन، 11 آب 2017.

أثناء الاقتتال لإيضاح أسباب ما فعلوه ضدّ "جيش الإسلام"، فيما لم يتحدّث بذلك قائد "فيلق الرحمن" النقيب عبد الناصر شمير، إلا بعد انتهاء الاقتتال. الحملة الأمنيّة ضدّ مؤيّدَي "جيش الإسلام" التي قادها "الاتحاد"، صرّح النقيب شمير حينها أنّه لا علاقة له بها، وإنّما يفعلها قادة "الاتحاد" من دون الرجوع إليه أو إلى أجهزة "الفيلق" الأمنيّة.²⁰

إنّ هذا يمثّل مؤشراً كافياً على طبيعة العلاقة التي تجمع الفيلق بالقوى والجماعات الأخرى التي التحقت به، وأنّها أقرب إلى علاقة هشّة في الغالب، قوامها المصلحة المتبادلة، الماديّة أو العسكريّة أو التّفوذ والسّلطة أو الحماية أو غيرها من الأسباب الأخرى، التي لا استثناء فيها لفصيل أو جماعة مسلحة دون أخرى في سوريا.

الأيديولوجيا

ينأى "فيلق الرحمن" بنفسه عن تبنيّ رؤى سلفيّة أو دينيّة متشدّدة، خلافاً لبعض الفصائل المتشدّدة الأخرى المعروفة، كجبهة "النصرة" و"جيش الإسلام" وسواهما، رغم تبنيّه لمنطلقات ذات صبغة "إسلاميّة"، وهو يميل أكثر إلى وضع نفسه ضمن الفصائل المعارضة التي تعمل ضمن بيئة مجال الدّولة السوريّة حصراً، وتتبنّى رؤى وتوجّهات غير متشدّدة، وأنّ "الأيديولوجيّة التي بنيت عليها بعض الفصائل المصنّفة راديكاليّة تختلف كليّاً عن هويّة "فيلق الرحمن"، وما يجمعه مع بقيّة الفصائل المعارضة هو، كما تحدّده المتحدّث الإعلامي باسم الفيلق وائل علوان، "مبادئ الثّورة، ومواجهة النّظام والتصدّي له"²¹. وعلى موقعه الرسمي تحدّد الفيلق هويته الأيديولوجيّة بما يلي:

- الفيلق هو جزء من الحراك الثوري الشعبي، ويؤمن بأهداف الثّورة السوريّة، ويعمل على تحقيقها.
- يلتزم الفيلق بمبدأ الشورى، وهي الطريقة المعتمدة في اتّخاذ القرارات.
- الفيلق كيان منفتح بأفكاره على جميع المكونات المؤمنة بأهداف الثّورة السوريّة.
- إنّ سوريا كيان واحد لا يتجزّأ، و يقف الفيلق في وجه أيّ مشروع تقسيمي لسوريا.

التمويل وموارد السلاح

يعدّ الجانب الماليّ للمعارضة السوريّة بمجملها، وبخاصّة الفصائل المسلحة منها، أحد الألغاز والأحجيات الكبيرة التي تحتاج إلى حلّ؛ نظراً للسريّة الكبيرة والكتمان الشديد الذي يحيطه به أرباب تلك الفصائل وقادتها والقائمين عليها، وبسبب الغياب شبه المطبق لموازنتها السريّة، ما خلا التسريبات التي ترشح بين الفينة والأخرى بشأنها، من داخل تلك الفصائل، وغالباً ما تكون جراء نزاعات وانشقاقات، أو خارجيّة من جهات نتيجة تحقيقات استقصائيّة أو معلومات استخباريّة غاياتها مختلفة. كلّ ذلك، مع إدراك مسبق ومعرفة إجماليّة يمتلكها المراقبون والمتابعون والخبراء بشؤون تلك الجماعات بمصادر تمويلها والجهات الداعمة لها والمناحة.

أما الفصائل نفسها، فلا تفصح عن مصادر تمويلها الرئيسة، ولا الجهات الداعمة لها أو المناحة التي تشكّل ركيزة أساس لها، في تأمين العتاد والسلاح المتنوّع، من الخفيف إلى الثقيل، القديم والمتنوّع، الذي يحتاج إلى موازنات

²⁰ - عمر بماء الدين، "فيلق الرحمن" و"أجناد الشام": صراع الحلفاء، المرجع السابق نفسه.

²¹ - النهار، "فيلق الرحمن" فصيل معارض يقاتل النظام في دمشق ويفاوضه في جنيف، مرجع سابق.

مالية عالية، لا تكفي فيها المصادر المعلن عنها، كالدعم الشعبي، وتمويل بعض المواطنين الأثرياء المؤيدين، وما أشبه ذلك.

إنّ "فيلق الرحمن" حاله حال بقيّة الفصائل في هذا الشأن، حيث يزعم أنّه يعتمد "في تمويله على الدعم الشعبي، بالإضافة إلى دعم مجموعة أصدقاء سوريا المساندة للثورة السورية. أما السلاح والذخيرة، فالاعتماد الرئيسي فيهما "على القطع والكتائب العسكرية المحرّرة من قوآت النظام وما يتمّ شراؤه من السوق السوداء"²²، ويحدّد الفيلق على موقعه الرسمي أنواعاً مختلفة من الأسلحة والعتاد التي يحوزها، الخفيفة منها والثقيلة، بما فيها من دبابات وعربات شيلكا وBMB، إضافة إلى المدافع المتعددة العيارات والصواريخ والأسلحة المضادة للدروع"²³، وتحديث بعض المصادر الإعلامية المتابعة للفصائل المسلحة عن دور قطري كمصدر تمويل ودعم، مالي وعسكري، للفيلق"²⁴، على غرار تمويلها للعديد من الفصائل المسلحة الأخرى، وتعدّ قطر، كما بات معلوماً من التسريبات، إثر أزماتها السياسية مع كلّ من السعودية والامارات، إضافة إلى مصر، من أهمّ الدّول الداعمة للفصائل المعارضة للنظام في سوريا، ولها تأثيرها الفاعل، وغير الخفي، على العديد من تلك الفصائل والجماعات المسلحة، وكان لها دور فعال في تحريك العديد من الملفّات، وأحياناً حلّ لبعض العقد.

مصادر تمويل أخرى

لكنّ تمويل "فيلق الرحمن"، يأتي بنسبته الكبرى من ما يسمى (غرفة الموك)، إلى جانب مصادر أخرى، إضافة إلى ما يذكره موقعه الرسمي، فاستناداً إلى شهادة بعض الناشطين في الغوطة ممّن عاش فترة طويلة بالقرب من قيادات الفيلق وعمل في المجال العسكري، فإنّ اللّواء استفاد، كسواه من الفصائل المسلحة، من مصادر مالية أخرى، من دول وجمعيات مانحة، ومن الاستيلاء على بعض الموارد ذات المداخل المالية العالية ومن الصفقات المتعلقة بالرهائن لديها، وذكر بعض الناشطين أنّ "لواء البراء" وفي الشهر نفسه الذي تشكل به آب 2012 خطف باصاً متّجهاً من دمشق يقلّ 48 إيرانيّاً، وقد بادل الفيلق هؤلاء مع القوآت المسلحة السورية، لقاء مبالغ طائلة، استطاع من خلالها إقناع فصائل الغوطة الشرقية بالالتفاف حوله لتشكيل هذا الكيان العسكري الذي بات يعرف بـ "فيلق الرحمن".

ويستفيد الفيلق، أيضاً، من تهريب المحاصرين عبر الأنفاق التي تخضع لسيطرته، عملاً بما جرى عليه عرف الفصائل التي اتّفقت على منع أيّ ذكر يبلغ من العمر بين 15 حتى 45 سنة من مغادرة الغوطة، وعدم السماح لأيّ امرأة بالمغادرة دون محرم، "ومن يرد الخروج من الغوطة، حتى من المدنيّين والجرحى، فعليه دفع الأموال مقابل هذه الخدمة، وتكون المبالغ المستوفاة متفاوتة حسب الأشخاص، وغالباً ما تتراوح بين 100 إلى 150 ألف ليرة، فإن استطاع توفير من يكفل عودته إلى الغوطة، فإنّه يخرج مجاناً".

وقد استفاد الفيلق من التّجارة عبر الأنفاق، وكان أوّل نفق في الغوطة الشرقية يصلها ببرزة يخضع لسيطرة "فيلق الرحمن"، وفي ظلّ الحصار المفروض على الغوطة الشرقية، كان لهذا التّفق أهمية بالغة، لاسيما في استيراد

²² - "فيلق الرحمن"، الموقع الرسمي، مرجع سابق.

²³ - المرجع السابق نفسه.

²⁴ - عنب بلدي أونلاين، جيش وفيلق ولواء.. أبرز الفصائل العسكرية في الغوطة الشرقية، 29 نيسان 2017.

المواد الأولية والأساسية للمؤسسات والتنظيمات المدنية وحتى العسكرية منها... وعبر هذا التفق عبرت المحروقات، والمواد الطبية، التي كانت ما إن تصل إلى الغوطة حتى ترتفع أسعارها عن ما هي عليه في دمشق إلى ثلاثة أضعاف على أقل تقدير.

ووفقاً للتحقيق، فإنّ "هذا الأمر لم يعد مقتصراً على "فيلق الرحمن"، حيث أصبح للعديد من الفصائل أنفاقها الخاصة، بعد معارك طاحنة بينها للسيطرة على هذه المنافذ". ويوضح التحقيق أنّ "في دوما مثلاً لجنة اقتصادية مهمتها مراقبة الأسواق والأسعار، لكنّها مؤلفة من أعضاء الفصائل التي سبق وأن أدخلت المواد إلى الغوطة، وفرضت ضرائبها ورسومها، محدّدةً بذلك السعر الذي سيشتري به المواطن قبل أن تشرع اللجنة بعملها". وتلفت نتائج التحقيق إلى أنّ "عناصر الفيلق فقراء في أغلبهم، بينما يتمتع القادة بحياة جيّدة ومستقرة من حيث الرواتب وتأمين مستلزمات المعيشة"²⁵.

التعداد والرواتب

يشكّل المال العصب الأساس للفصائل المسلحة في سوريا، لناحية جذب الشباب واحتوائهم، بقدر لا يقل أهمية عن حاجتها له في تمويل عتادها وتجهيزاتها العسكرية وتوفير البنى والمنشآت والقواعد والتحصينات، وتأمين الوسائل واللوازم اللوجستية المتنوعة التي تحتاجها.

فالفصائل المسلحة يقوى بناؤها، وتتكاثر عناصرها بفضل ما تقدّمه من عطاء وتؤمّنه من رواتب للقادة والمقاتلين، وإعانات للمريدين والمحتاجين، وإنّ الحصار والفاقة وتدني المعيشة وقلة الموارد والحاجات المتفاقمة وقلة فرص العمل وصعوبة التبادل وندرة الأسواق، فضلاً عن هيمنة المسلحين ووضع أيديهم على الموارد ومصادر الإنتاج وفرض الضرائب والخوات على السكان تسهم في دفع المزيد من الشبان والعاطلين وذوي الفاقة على الالتحاق بالفصائل من أجل توفير مداخيل تؤمّن، ولو بحد أدنى، إشباع احتياجاتهم الأساسية الملحة.

لقد خصّص "فيلق الرحمن" لعناصره رواتب، وعمل على تقديم إعانات، ما جعله محلّ نظر وجذب الكثير من الشبان الباحثين عن موارد عيش، تعينهم على مواجهة صعوبات العيش وتأمين قوت لهم ولعائلاتهم. ويبدو أنّ الفيلق قد وضع نظاماً مالياً، ميّز فيه، بصورة عالية، بين رواتب قاداته ورواتب العناصر، وبين المتزوّجين منهم وغيرهم، ووفقاً لتحقيق موقع الحلّ، فإنّ "عناصر الفيلق فقراء في أغلبهم، بينما يتمتع القادة بحياة جيّدة ومستقرة، من حيث الرواتب وتأمين مستلزمات المعيشة"؛ إذ إنّ "رواتب العناصر المتزوّجين تصل إلى 40 ألف ليرة سورية. أما غير المتزوّجين، فيتقاضون نحو 35 ألف ليرة، لكنّ الرواتب غير منتظمة"²⁶.

واستناداً إلى تقديرات الموقع الرسمي لفيلق الرحمن التي تقول بأنّ "تعداد عناصره يصل إلى عشرة آلاف مقاتل"، فإنّ رواتب العناصر وحدهم تبلغ شهرياً ما بين 350 و 400 مليون ليرة سورية، أي ما يعادل وسطياً 4 مليار و 800 مليون ليرة سورية سنوياً.

ويتحدّث تحقيق موقع الحلّ عن تراجع في تقديرات الفيلق لعائلات عناصره القتلى، وشيوع المحسوبية والانتقائية فيها، تعود لقائد الفيلق واختياره؛ فعائلة العنصر القاتل كانت تحصل في بدايات تأسيس الفيلق على

²⁵ - الحلّ، "صفقة أسرى" أسست لتشكيل "فيلق الرحمن" .. ونحو 400 مليون ليرة أجور المقاتلين شهرياً، 21 كانون الثاني 2017.

²⁶ - المرجع السابق نفسه.

مساعداً وتعويض بشكل رسمي. أما الآن، فإنها تأتي على نطاق محدود جداً، وبشكل شخصي بين العائلة وقائد الفيلق.

ويستخدم فيلق الرحمن المكافآت المادية مقابل المهام المميّزة التي يقوم بها أي من قادته أو عناصره، ويعتمد إلى تأمين وجبتين لمقاتليه يومياً وتوفير بعض الاحتياجات لعائلات مقاتليه القتلى في بعض الظروف الخاصة، مثل وجبات طعام أو الحطب أيام الشتاء أو الحصار.

ويلجأ "فيلق الرحمن"، على غرار نظرائه من الفصائل، إلى توفير بعض الاحتياجات والتقديمات على صورة معونة للمريدين والسكان المدنيين الذين يقيمون ضمن دائرة سيطرته، بهدف الحفاظ على تأييد الموالين منهم أو استمالة آخرين أو مهادنتهم واكتساب تأييدهم أو مراكمة المؤيدين منهم.

بحيث إنّ "الفائض من مطبخ" فيلق الرحمن كان يوزّع على العائلات المدنية، وهو يطعم بهذه الطريقة نحو 70 عائلة، وهو ما لا يفعله أيّ تشكيل عسكري داخل الغوطة، بالرغم من أنّ مطابخ "جبهة فتح الشام" (النصرة سابقاً) و"جيش الإسلام" أكثر جودة من مطبخ الفيلق، وأكثر قدرة على خدمة المدنيين²⁷.

وهذه كلّها تستدعي المزيد من النفقات المالية التي تحتاج إلى تمويل عال، تفوق قدرة المصادر التي يصرح الفيلق عنها.

استيعاب الشباب

يصنّف "فيلق الرحمن" ضمن الفصائل المسلحة الوسطى، من حيث عديدها البشري، قياساً إلى الفصائل الأخرى؛ فعلى موقعه الرسمي يذكر الفيلق أنّ عديده يبلغ "أكثر من عشرة آلاف مقاتل"، ولا تبعد الأرقام الصادرة بهذا الصدد من جهات أخرى عن هذا الرقم، ويتراوح بين 8000 و9000 مقاتل.

ويعمل الفيلق على زيادة عديده، ومنافسة الفصائل والجماعات القويّة الأخرى التي يشاركها النفوذ، ضمن القيادة العسكرية الموحّدة في الغوطة الشرقيّة، وتحديدًا "جيش الإسلام" و"أحرار الشام"، وذلك:

أولاً، من خلال إبراز حضوره كقوّة مسلحة في مناطق نفوذه المباشر، كإقامة الاستعراضات المسلحة وإبراز المهارات القتاليّة لمقاتليه، والإعلان عن إنجازات عسكريّة أو خدميّة يشارك فيها.

وثانياً، من خلال العمل على دمج جماعات مسلحة إضافيّة فيه، واستيعاب المزيد من الشباب المتحمّس، وتخريج دفعات من المقاتلين بعد تدريبهم ضمن معسكرات مخصّصة في الغوطة الشرقيّة²⁸.

²⁷ - الحل، "صفقة أسرى" أسست لتشكيل فيلق الرحمن.. ونحو 400 مليون ليرة أجور المقاتلين شهرياً، المرجع السابق نفسه.

²⁸ - أنظر:

- "فيلق الرحمن" يخزج دفعة من المقاتلين في ريف دمشق، <https://www.radioalkul.com> نقلاً عن: وكالة الأناضول، 30 أيار 2015.

- وليد بيرقدار، تخريج أول دفعة مشتركة من مقاتلي "أجناد الشام" و "فيلق الرحمن" في الغوطة الشرقية، كلنا شركاء، 22 حزيران 2015.

- السلطة الرابعة: بالصور: تخريج دفعة جديدة من مقاتلي "فيلق الرحمن" في الغوطة الشرقية بدمشق!، السلطة الرابعة، 1 تموز 2015.

- محمد أنس، "فيلق الرحمن" يخزج دفعة جديدة من المقاتلين في الغوطة الشرقية، كلنا شركاء، 14 تموز 2015.

أهم المعارك

يذكر "فيلق الرحمن" على موقعه الرسمي عدداً من الوقائع والتي خاضها مع الجيش النظامي السوري والقوى الحليفة له، بالإضافة لمواجهة قوات داعش ISIS في القلمون الشرقي. ومن جملة الإنجازات العسكرية لفيلق التي يوردها الموقع:

- المشاركة في تحرير بلدات الغوطة الشرقية عام 2012.
 - القبض على حافلة الإيرانيين في دمشق في 3 آب 2012.
 - معركة الفرقان عام 2013.
 - معارك تحرير جوبر وزملكا.
 - معركة الله أعلى وأجلّ لكسر حصار الغوطة في 28 تشرين الثاني 2013.
 - معركة وأعدوا لهم 15 آذار 2014 لقطع طريق الإمداد من مطار السين للقلمون الغربي، واقتحام مستودعات 559 وقصف مطار السين ومطار الضمير العسكريين.
 - معركة المليحة الدفاعية التي استمرت لأكثر من 135 يوماً، بدأت في 6 نيسان 2014.
 - معركة عواصف الصحراء 23 نيسان 2014 لضرب قوات النظام في القلمون الشرقي والبادية الشامية، وقطع طريق دمشق بغداد الدولي، والسيطرة على بئر الجروة، والسيطرة على كتيبة الرادار بالقرب من مطار الضمير، والسيطرة على معمل أسمنت البادية الذي يعدّ غرفة عمليات لقوات النظام.
 - المشاركة في معركة القضاء على داعش في الغوطة الشرقية في صيف 2014.
 - معركة الزبلطاني 14 تشرين الأول 2014 للتقدّم باتجاه دمشق.
 - معركة رصّ الصّفوف 21 نيسان 2015 لاستعادة بعض النقاط في جوبر.
 - معركة أيام بدر 5 تموز 2015 في جبهة جوبر باتجاه دمشق.
 - معركة وحدة المياه في جوبر 24 تموز 2015 للسيطرة عليها، وإعادة ضخّ المياه لعدد من بلدات الغوطة.
 - حملة (من الغوطة إلى الزبداني) 2 آب 2015 لقصف مقرّات النظام العسكرية والأمنية في دمشق.
 - معركة الدخانية في 9 أيلول 2014²⁹
- وتمتدّ جيّهات "فيلق الرحمن" العسكريّة في ما يسّعى بالقطاع الأوسط من الغوطة الشرقيّة، في كلّ من جوبر، زملكا، عين ترما، مديرة، كفر بطنا، ومرج السلطان، إضافةً إلى الجيّهات العسكريّة في حي القابون، والقلمون الشرقي والغوطة الغربيّة، قبل عمليّة إخلائها في أواخر 2016³⁰.
- ومنذ عام 2011 ظلّت منطقة الغوطة الشرقيّة ضمن المناطق الساخنة، فبعد معارك ضارية شنها الجيش السوري بقيت الغوطة الشرقيّة نقطة اشتباكات كثر وفّر بين الفصائل المسلحة المتحصّنة بداخلها، خاصّة

²⁹ - "فيلق الرحمن"، الموقع الإلكتروني الرسمي، مرجع سابق.

³⁰ - عنب بلدي أونلاين، جيش وفيلق ولواء.. أبرز الفصائل العسكرية في الغوطة الشرقية، 29 نيسان 2017.

بين "فيلق الرحمن" و"جيش الإسلام"، حيث شهدت المنطقة معارك ضارية بينهما، أسفرت عن مقتل المئات ونزوح العشرات من المدنيين.

كما أعلن "فيلق الرحمن" في أيار 2016 مقتل مدير مكتبه ونائب قائده النقيب أبو نجيب، خلال معارك مع "جيش الإسلام" في ظلّ تنازع بين الطرفين على التحكم بالمنطقة.³¹

علاقة "فيلق الرحمن" بالفصائل الأخرى

يتقاسم "فيلق الرحمن" و"جيش الإسلام" السيطرة على معظم بلدات الغوطة الشرقية، إلى جانب فصائل أخرى، أبرزها "هيئة تحرير الشام" و"أحرار الشام" و"لواء فجر الأمة".

وتشهد الغوطة منذ العام 2015 نزاعات حادة، ومواجهات مسلحة بين الفصائل المختلفة، بما يشبه صراع نفوذ على امتلاك السيطرة على أوسع بقعة جغرافية منها، ومحاولة كلّ طرف فرض إلغاء الطرف الآخر إلى استئصاله بصورة تامة. ولم تهدأ بشكل كامل، رغم العديد من المبادرات التي صدرت من جهات مختلفة، داخلية وخارجية، واستمرت بصورة متقطعة، فما إن تنتهي بين فصليين أو أكثر حتى تبدأ بين فصليين آخرين وهكذا، والمفارقة أنّ بعض الحلفاء في معارك مع خصم سرعان ما يتحولان إلى خصمين متحاربين في مرحلة تالية، ويمثل "جيش الإسلام"، وهو الفصيل الأقوى في الغوطة، النموذج الأبرز في هذا المجال، ومثله إلى حدّ كبير "فيلق الرحمن" الذي يشكّل القوة الثانية بعد "جيش الإسلام". وقد وقعت بين الطرفين وقائع ومعارك متقطعة، كان يقدم أحد الطرفين خلالها على اغتيال أو محاولة اغتيال قيادي للطرف الآخر أو اعتقال أفراد منه أو القيام باقتحام معازل ومناطق نفوذ تخصّ الطرف الآخر، مع تهمة جاهزة، لتبرير الفعل، وتحمل الآخر مسؤولية مآل الأمور، وتبدأ دورة من الاتهامات المتبادلة، وما إن تبدأ جولة من العنف ويقع جرحاها قتل وجرحى وأسرى وتهجير قصري من الأطراف المتنازعة، ومعهم ضحايا من المدنيين، حتى تنتهي؛ بفعل تدخل خارجي من دول تملك أوراق ضغط أو كلمة عليها، أو داخلية من السكّان والفاعليات المحلية، ثم لتعود مرة أخرى، وهكذا دواليك.

ويؤكد هذا الواقع ما ذكره كبير مفاوضي الهيئة العليا للمفاوضات وممثل "جيش الإسلام" محمد علوش، في 20 أيار 2016 خلال مقابلة مع قناة العربية، من أنّ "جبهة النصرة" تحاول من خلال المعارك في غوطة دمشق بالتعاون مع "فيلق الرحمن" لاستئصال "جيش الإسلام"، وذلك على غرار ما فعلت مع العديد من فصائل "الجيش الحر"، وعددهم حوالي 13 فصيلاً في الشمال السوري. لكنّ "فيلق الرحمن" يتهم "جيش الإسلام" بمحاولة الهيمنة على الغوطة وتوسيع نفوذه، على حساب باقي الفصائل، ويوجّه له أصابع الاتهام بالمسؤولية عن اغتيال قياديين في الغوطة الشرقية.³²

وفي الإمكان القول إنّ "جيش الإسلام"، بشراكة مع "فيلق الرحمن" أو بحياد منه، تمكّن في العام 2017 من تصفية بعض الفصائل القويّة في الغوطة، كـ"هيئة تحرير الشام" و"أحرار الشام" وغيرها، وقد خلت الغوطة الشرقية له ولـ"فيلق الرحمن"، يتقاسمان فيها التّفوذ، ويتنازعان عليها السيطرة، ويتوزعان ما تبقى من عناصر

³¹ - إيمان محمود، بعد اتهامه بعرقلة "هدنة الغوطة" .. من هو "فيلق الرحمن"؟، موقع: مصراوي، 9 آب 2017

³² - عنب بلدي أونلاين، "جيش الإسلام" يطلق سراح تسعة معتقلين من "فيلق الرحمن"، 21 أيار 2016.

وقادة فصائل تمّ محوها من خارطة الغوطة أو تصفيتها، ولأذت بطرف من آخر أو وقعت أسيرة خيار بين الالتحاق بالطرف المنتصر أو التصفية.

وبدا حال الفصائل في الغوطة كمن يترّص أحدها بالآخر، وكلّما سقط فصيل منها تطلّع من غلب منهم على من بقي، فلا شراكة في المطلق يجمعها، بل مصلحة وزيادة في النّفوذ، وعدوّ اليوم حليف أو شريك محتمل في الغد، والعكس صحيح، يشهد على ذلك شراكة "فيلق الرحمن" و"جيش الفسطاط" (المكوّن من "حركة أحرار الشام" وجهة "النصرة" بالإضافة لـ "فجر الأُمّة")، في 28 نيسان 2016، باقتحام منازل ومقرّ عسكريّة تتبع لـ "جيش الإسلام" في بلدات (زملكا، جسرين، مسرابا، حمورية، عين ترما وكفريبطنا) في الغوطة الشرقيّة بريف دمشق جنوبيّ سوريا³³. فإذا بـ "جيش الإسلام"، بعد عام فقط، وفي التاريخ ذاته، يتوجّه برسالة ودّ يتملّق فيها إلى "فيلق الرحمن"، نشرها الأحد 30 نيسان 2017، بعد يومين من شنّ حربه على "هيئة تحرير الشام"، على حسابه على "تويتر"، وردّ فيها "إخواننا في "فيلق الرحمن" قادة ومجاهدين، إننا وإياكم إخوة في الآلام وشركاء في الثّورة"، ثم تحدّث فيها عن عزمه حلّ "هيئة تحرير الشام" (الاسم الجديد لتحالف جهة النصرة) في الغوطة الشرقيّة وتقديم "متزعي الهيئة للقضاء، في سبيل إنهاء الفكر الدّخيل الذي جرّ على ثورتنا الولايات، وسبّب لها الكثير من الخسائر، وأدخلها في أتون الصّراعات"، وأكد "جيش الإسلام" في رسالته أنّه "مهما بلغت الخلافات مع الفيلق، فستبقى جانبية ثانوية، ونحن متفقون على الأصل، وما يجمعنا أكثر بكثير مما يفرّقنا"، ودعا "فيلق الرحمن" إلى اتّخاذ الحياد على الأقل، في حال "لم يكونوا عوناً لنا في هذه المهمّة، التي تصبّ في صالح أبناء الغوطة، بل أبناء سوريا أجمعها"³⁴.

وردّ فصيل "فيلق الرحمن" بعد أقلّ من ساعة على رسالة "جيش الإسلام"، فاتّهمه بالترويج إعلامياً وتقديم ادّعاءات خادعة ومضلّلة. جاء ذلك في بيان لـ "الفيلق" ردّاً على خطاب "الجيش"، وقال فيه "لقد اتّخذ جيش الإسلام" من القضاء على الهيئة ذريعة للهجوم على مستودعات الفيلق ومقرّاته والاعتداء على عناصره، واتّهمه بالاستيلاء على مقرّاته في مديرا، بيت سوى، كتيبة الافتريس، ومقرّ اللواء 45 في المحمدية، وإيقاع عشرات القتلى من عناصر "الفيلق"³⁵.

وقد اختار "جيش الإسلام" الهجوم على جهة "النصرة"، في 28 نيسان 2017، في الذكرى الأولى للهجوم الواسع الذي شنّه عليه تحالف جيش الفسطاط (وعماده الرئيس جهة "النصرة") مع "فيلق الرحمن" ضدّه قبل عام واحد، والذي أدّى إلى كسر هيمنة "جيش الإسلام" في الغوطة الشرقيّة، وساهم في خسارة مساحات واسعة لصالح قوّات النّظام في القطاع الجنوبي، إضافة إلى انهيارات متتالية أخرى، وكانت نتيجة هذا الاقتتال على الخارطة تقسيم الغوطة إلى منطقتين شبه مستقلّتين: "دوما" حيث "جيش الإسلام"، و "القطاع الأوسط" الذي يشكّل عمق الغوطة، وسيطر عليه بشكل رئيس "فيلق الرحمن" والفصائل الأخرى، مثل "أحرار الشام" وجهة "النصرة"، إضافة إلى "حرسنا" معقل فصيل "فجر الأُمّة" (أحد مكوّنات جيش الفسطاط سابقاً والذي التزم الحياد في هذه الحرب).

³³ - هيثم مصطفى، فيلق الرحمن يهاجم مقرات لجيش الإسلام في غوطة دمشق الشرقية، ARA New، 28 نيسان 2016.

³⁴ - الخليج الجديد، "جيش الإسلام" يعزّم القضاء على هيئة تحرير الشام بالغوطة ويحذر "فيلق الرحمن" من دعمه، 30 نيسان 2017.

³⁵ - عنب بلدي أونلاين، "فيلق الرحمن" يكذّب "جيش الإسلام" ويتهمه بالخداع والتضليل، 30 نيسان 2017.

لكن، ما إن نجح "جيش الإسلام" في القضاء على "النصرة" والسيطرة على مقارها حتى تبدّل المشهد، فإذا بـ"فيلق الرحمن" يدخل في معركة التصفية التي يخوضها "الجيش"، فشّن في 7 آب من العام نفسه، حال "جيش الإسلام"، هجوماً على مواقع "تحرير الشام" و"أحرار الشام" في الغوطة الشرقية، وقال "الجيش" إنّه هاجم ما تبقى من تجمّعات لجهة "النصرة" في منطقة الأشعري، وسيطر على كتلة المزارع فيها، إضافة إلى المسجد والمدرسة، بينما هاجم "الفيلق" الذي ينشط عسكرياً في بلدات القطاع الأوسط مواقع "الهيئة" و"الأحرار" في بلدة كفرطنا، واعتقل عدداً من عناصرها³⁶.

ثم بدا الفيلق كمن يتبرأ من دم أخيه، ويبادل "الجيش" اللوم، ويكذّبه، فتباينت تصريحات الفريقين حول المعارك ضدّ "هيئة تحرير الشام"، فبينما أكّد "جيش الإسلام" التنسيق مع "فيلق الرحمن"، كذّب الأخير هذه الرواية، ونفى أيّ تعاون بهذا الخصوص. واتّهم "الفيلق" عناصر "الجيش" باستغلال مواجهاته مع "الهيئة" والتقدّم في منطقة الأشعري دون علمه. وأنّه "بعث مندوبه لمتابعة الأمر مع قيادة الجيش، ووعدوا بأنّ يتقدّموا على نقاط الفيلق، لكنّ "جيش الإسلام" نكث بوعده، ووصل إلى حدود بلدة الافتريس، وتقدّم في عمقها"³⁷.

حقيقة صراع "فيلق الرحمن" و"جيش الإسلام"

يهيمن هاجس الخوف من "جيش الإسلام" على جميع الفصائل والجماعات المسلحة في الغوطة، بما فيها القوىّة منها؛ نظراً للطّموحات العالية للجيش بمدّ نفوذه وبسط هيمنته وسطوته على المساحة الأكبر في الغوطة، وهضم أو ابتلاع ما أمكن من القوى المسلحة التي تمثّل فصائل المعارضة المسلحة فيها. وهو هاجس، على ما يبدو، يراود الجميع دون استثناء، بما فيهم حلفاء الجيش، بالنظر إلى التجارب المماثلة المتعدّدة له في التعامل مع أصدقائه، فضلاً عن خصومه، فمن "المعروف عن "جيش الإسلام" علاقاته المتأرجحة وغير الوديّة مع الفصائل المعارضة المختلفة، الإسلاميّة منها وغير الإسلاميّة، وكذلك طموحاته "لابتلاع باقي الفصائل، أو الالتفاف عليهم بمشاريع جديدة، على غرار ما قام به في مشروع "الجهة الإسلاميّة" الذي لم يدم طويلاً"³⁸. هذا، مضافاً إلى محاولات "جيش الإسلام" مراراً السيطرة على الفصائل الصغيرة في منطقة الغوطة، وإقدامه على عمليّات إلغاء، نفّذها ضدّ بعض الفصائل الأخرى، حتى بحقّ أقرب حلفائه، كـ"الاتحاد الإسلامي لأجناد الشام" (شباط 2016)، ومن قبله "لواء فجر الأُمّة" (آب 2015)، و"الوية تحرير الشام" (تشرين أول 2015) و"جيش الأُمّة" واعتقال قائده أحمد طه وعدداً كبيراً من عناصره وحلّ التنظيم (4 كانون الثاني 2015)، واعتقال قائد "لواء شهداء دوما"؛ وذلك كلّه بهدف بسط سيطرته ومدّ نفوذه على منطقة الغوطة³⁹.

ولم يكن "فيلق الرحمن" خارج دائرة الخوف من نوايا "جيش الإسلام" نحوه، وأنّه بمنأى عن خطّته واستهدافه، وليس ما يمنع من إقدام الجيش على مباشرة هضمه والانقضاض عليه، بسبب نزعتة التسلّطيّة، سوى امتلاك القوّة الكافية لردعه وردّ عدوانه. وفي هذا السياق، نقل موقع "عربي 21" الإلكتروني عن الناشط الميداني "مجد أبو

³⁶ - عنب بلدي أونلاين، خلافٌ في الغوطة الشرقية حول التنسيق ضد تحرير الشام، 8 آب 2017.

³⁷ - المرجع السابق نفسه

³⁸ - طارق العبد، عين "جيش الإسلام" على سجن عدرا، 10 أيلول 2015.

³⁹ - المركز الاستشاري للدراسات والتوثيق - مديرية الدراسات الاجتماعية، "جيش الإسلام الأيديولوجيا الفكرية والرؤى السياسية" ضمن سلسلة الجماعات السلفية القتالية (2)، 27 آذار 2016.

البراء" أنّ سبب الخلافات بين "جيش الإسلام" و"فيلق الرحمن" ليس بجديد، بل إنّه يتطوّر ويكبر مع مرور الأشهر، وجوهره هو أنّ "جيش الإسلام" يطمح في أن يكون القوّة الوحيدة العاملة في الغوطة، وقال "هنالك سعي دائم من قبل "فيلق الرحمن" و"الاتحاد الإسلامي لأجناد الشام" في منافسته وإظهار تواجدهم كقوّة رئيسة فيها، الأمر الذي يشحن كلا الطرفين، ويؤدّي غالباً لمثل هذه الملابسات التي بدأت تكبر بشكل متسارع في الغوطة الشرقيّة، بُعيد اندماج "الاتحاد الإسلامي" داخل "فيلق الرحمن".

فـ "جيش الإسلام" يريد القضاء على الفيلق بعد احتضانه لـ "الاتحاد الإسلامي لأجناد الشام"، النّد الأبرز لـ "جيش الإسلام" في الغوطة، حيث يرفض "جيش الإسلام" تواجد أيّ قوّة غيره في الغوطة. أما "فيلق الرحمن" و"الاتحاد الإسلامي"، فقد اندمجا مع بعضهما لتشكيل قوّة كبيرة لمقارعة طموح "جيش الإسلام" وعدم السماح له بالسيطرة على الغوطة متفرّداً⁴⁰.

ومع ثقة "الفيلق" بتكرار الجيش لفعلته بالألوية والفصائل الأخرى والخوف المستمرّ من وصول الدور إليه متى تصبح فرصة "الجيش" سانحة لذلك، فقد كان هذا بذاته دافعاً للفيلق وبعض الفصائل الأخرى، ومنها جبهة "النصرة"، مع حقد الفصائل الدفين نحو الجيش، لتشنّ مجتمعة هجوماً عليه في 28 نيسان 2016، وإخراجه من كامل القطاعين الأوسط والجنوبيّ للغوطة الشرقيّة. وقد أدّى الهجوم إلى كسر هيمنة "جيش الإسلام" في الغوطة الشرقيّة، وساهم في خسارة مساحات واسعة لصالح قوّات النظام في القطاع الجنوبيّ، إضافة إلى انهيارات متتالية أخرى، وكانت نتيجة هذا الاقتتال على الخارطة تقسيم الغوطة إلى منطقتين شبه مستقلّتين: "دوما" حيث "جيش الإسلام"، و"القطاع الأوسط" الذي يشكّل عمق الغوطة، ويسيطر عليه بشكل رئيس "فيلق الرحمن" والفصائل الأخرى، مثل "أحرار الشام" وجبهة "النصرة"، إضافة إلى "حرسنا" معقل فصيل "فجر الأمّة" (أحد مكوّنات "جيش الفسطاط" سابقاً)⁴¹.

أسباب خفيّة للخلاف بين الفصائل

هناك من يرى أنّ وراء الخلاف بين "فيلق الرحمن" و"جيش الإسلام" أسباباً أخرى جوهرية، لها صلة بالجانب العقدي؛ رغم محاولات الطرفين إخفائه ومحاولة جعله مجرد صراع من أجل النّفوذ، لكنّ الأمر يبقى كذلك حتى إذا احتدم التّزاع وطلّغ الخلاف برز إلى العلن، بقصد أو بغير قصد، ما كان حبيس الأنفس، "حرب بيانات بين الشرعيّين والإعلاميّين". ورغم أنّ غالبية السورّيّين هم من المسلمين السنّة، الذين يتّبع معظمهم مذهب الإمامين "أبو حنيفة" و"الشافعي" والتّيّارات الصوفيّة التي انبثقت عنهما، إلا أنّ مدينتي دوما والرحبية في ريف دمشق شكّلتا استثناءً في الحالة السورّيّة؛ إذ يتبع معظم أبنائهما لمذهب الإمام "أحمد بن حنبل"، وقد شكّلت دوما منذ عدّة قرون عاصمة للمذهب الحنبلي في بلاد الشام، وكان شيخها أحمد صالح الشامي، المتوفّي عام 1993، مفتي "الحنابلة" في المنطقة، وتحولّت المدينة "على يد الشيخ عبد الله علوش (والد مؤسس "جيش الإسلام" زهران علوش) إلى مركز للدعوة السلفيّة، المنبثقة عن المذهب الحنبلي، ونمت الدعوة السلفيّة فيها بشكل كبير، لتكون ندّاً للتّيّارات الصوفيّة في الغوطة الشرقيّة، والتي تأثّرت سياسياً بنهج جماعة "الإخوان المسلمين"، ولا سيما في القطاع الأوسط

⁴⁰ - حسام محمد، توتر في الغوطة الشرقية بسبب خلافات بين "جيش الإسلام" و"فيلق الرحمن"، عربي 21، 1 آذار 2016.

⁴¹ - أحمد أبا زيد، أبعاد ومآلات الصراع بين الفصائل في الغوطة الشرقية، مركز رفيق الحريري للشرق الأوسط، 5 أيار 2017.

منها. الباحث الخبير في شؤون فصائل الثورة السورية، أحمد أبازيد، اعتبر في مقال نشره عبر مدوّنته الشخصية بتاريخ 23 نيسان 2016، أنّ الأخطر من "الاحتقان العابر بين "فيلق الرحمن" و"جيش الإسلام"، هو "ما يقوم به فئة من ناطقي الفريقين وأنصارهم من ترسيخ الخلاف المذهبي كسبب للخصومة بينهما، سواء من يشنّ على الجيش بتوصيف الوهابيّة، أو من يطعن بفكر وتيّار مشايخ الأجناد (الذين انتقلوا للفيلق)، بكونهم تلامذة البوطي أو مبتدعة"⁴².

وتشير البيانات والمنشورات الداخلية لمشرعي "النصرة"، بأنّ حالة العداء لـ "جيش الإسلام" تأتي كونه ينتهج "السلفيّة الجاميّة" وهي عقيدة "فاسدة"، بحسب تعبيرهم. ويطلق تعبير "الجاميّة" على تيّار سلفيّ، انتشر في ثمانينيات القرن الماضي في السعودية، ويدعو إلى "السمع والطاعة وعدم الخروج على الحاكم الجائر". ويمضي مشرّعو "النصرة" في اتّهامهم، انطلاقاً من كون "جيش الإسلام" يلقي دعماً عسكرياً ومادياً من السعودية، ويتلقّون أوامرهم منها، ولا يخالفون الأسرة الحاكمة فيها، بحسب بياناتهم، بينما ترى "النصرة" في "آل سعود" حكماً "بغاة" وجب قتالهم، استناداً إلى أدبيات تنظيم "القاعدة"⁴³. ولا يختلف الأمر في الخلاف بين "النصرة" و"فيلق الرحمن"، فإنّ اتّباع الأخير المذهب الرسميّ في سوريا، ورفضه المعلن للمنهج التكفيري سبب لوجود عداء خفيّ نحوه من جانب "النصرة"، وهو ما يشير إليه وائل علوان في تصريح سابق، حين قال "نحن ندرك خطورة منهج جبهة "النصرة"، المنهج الاستعلائي الذي يجد نفسه الفرقة الناجية، ويرى غيره ضالاً ومبتدعاً"⁴⁴.

تبادل الأسرى

وقع العديد من عناصر وقادة الفصائل المتصارعة أسرى بين خصومهم في المعارك التي دارت، إلى جانب القتلى والجرحى والمهجّرين، وبفعل المصالحات والمبادرات المتبادلة بين الأطراف المتحاربة جرت عدّة مبادلات بالأسرى بينها، وبينها وبين الجيش السوري، من أبرزها:

- أسر 700 عنصر من "جيش الإسلام" في نيسان 2016، بعد تمكّن مقاتلي "فيلق الرحمن" من السيطرة على مناطق كفريكنا ومسرابا وسقبا وجوبر وعربين"⁴⁵.
- إطلاق "جيش الإسلام"، يوم الجمعة 20 أيار 2016، سراح تسعة معتقلين من "فيلق الرحمن" في الغوطة الشرقية، كبادرة "حسن نيّة لحقن الدماء بين الطرفين"، بحسب توصيف المتحدث باسم "جيش الإسلام" إسلام علوش⁴⁶. وردّاً على المبادرة أطلق "فيلق الرحمن"، في اليوم التالي (21 أيار) سراح 18 عنصراً من عناصر الجهاز الأمني لفصيل "جيش الإسلام"⁴⁷.

⁴² - عبادة كوجان، ما هو الدور الحقيقي لـ "جبهة النصرة" ولماذا تحالفت مع "الفيلق"؟: "حرب الشرعيين" .. الخلافات المذهبية تغذي الاقتتال في غوطة دمشق، عنب بلدي، 22 أيار 2016.

⁴³ - المرجع السابق نفسه.

⁴⁴ - المرجع السابق نفسه.

⁴⁵ - شبكة سوريا مباشر، 700 أسير من "جيش الإسلام" لدى فيلق الرحمن واختيار لجبهات الغوطة الشرقية، 30 نيسان 2016

⁴⁶ - عنب بلدي أونلاين، "جيش الإسلام" يطلق سراح تسعة معتقلين من "فيلق الرحمن"، مرجع سابق.

⁴⁷ - عنب بلدي أونلاين، فصائل الغوطة تطلق سراح المحتجزين لديها "تدريجياً"، 25 أيار 2016.

- إطلاق الفصائل المتنازعة في الغوطة الشرقية سراح عدد من المحتجزين لديها عصر يوم الأربعاء 25 أيار 2016، في إطار الاتفاق الذي وقع عليه فصيلا "جيش الإسلام" و"فيلق الرحمن" بمبادرة قطرية، وجاءت عملية تبادل الأسرى في إطار تطبيق وثيقة المصالحة بين الطرفين في العاصمة القطرية الدوحة، يوم الثلاثاء 24 أيار 2016، وتقضي بوقف إطلاق النار، وفتح الطرقات العامة أمام المدنيين، وإعادة المؤسسات المدنية إلى أصحابها، إضافة إلى إطلاق سراح المعتقلين، ووقف التحريض الإعلامي، مع تحديد بدء التنفيذ فور التوقيع. وأتى هذا الاتفاق بعد اشتباكات عنيفة، أسفرت عن مقتل وجرح العشرات من الجانبين.⁴⁸
- استكمال "جيش الإسلام" و"فيلق الرحمن"، السبت 28 أيار 2016، عملية تبادل الأسرى المحتجزين لدى كلّ منهما بإطلاق سراح المعتقلين لدى الأطراف المتحاربة.⁴⁹
- إفراج الجيش السوري عن 16 معتقلة، يوم السبت 10 كانون أول 2016، بعد أن أطلق "فيلق الرحمن" سراح 20 أسيرة من أسيرات "الاتحاد الإسلامي لأجناد الشام" سابقاً في عدرا العمالية*، قبل اندماجه مع "فيلق الرحمن" في شباط من العام الجاري. وجاءت عملية التبادل بعد مفاوضات استمرت لأربعة أشهر.⁵⁰

فيلق الرحمن وداعش

يبدو أنّ الخلاف مستحكم بين "فيلق الرحمن" وتنظيم "داعش"، ومنذ البدء ساد صراع بين الطرفين، ونشبت معارك بينهما، وقد عمل الفيلق على محاربة داعش في الغوطة الشرقية؛ ومتابعته الأمنية، وشارك في الحملة العسكرية ضده في صيف 2014 للقضاء عليه في الغوطة الشرقية وفي القلمون الشرقي.⁵¹

وقد تعرض قائد فيلق الرحمن لمحاولة اغتيال عن طريق انتحاري من "داعش"، فجّر نفسه في أحد مقرات "فيلق الرحمن"، أسفرت عن مقتل الشيخ رياض الخرق، وإصابة قائد "فيلق الرحمن" وعدد من أعضاء مجلس الشورى. وقد لقي أمير تنظيم "داعش" في الغوطة الشرقية المدعو "أبو محمد التونسي" في مدينة سقبا مصرعه، يوم الخميس 12 شباط 2015، على يد عناصر أمنية من "فيلق الرحمن". وجاءت هذه العملية في سياق عمليات واسعة في الغوطة الشرقية، قام بها الفيلق لملاحقة خلايا "داعش" النائمة في المنطقة، وعلّل الفيلق هذه العمليات بأنّ "العديد من حالات الخطف والقتل نسبت إلى التنظيم بقيادة التونسي".⁵²

⁴⁸ - المرجع السابق نفسه.

⁴⁹ - ماهر نخلة، تبادل أسرى بين "جيش الإسلام" و"فيلق الرحمن" في الغوطة الشرقية بريف دمشق، سمارت نيوز 28 أيار 2016.

⁵⁰ في كانون الأول 2013 سيطرت فصائل من الفصائل المسلحة على مدينة عدرا العمالية، ارتكبت خلالها مجزرة مروعة بحق القاطنين فيها، مدنيين وعسكريين، وأسر العديد منهم، بما فيهم نساء وأطفال، وشارك في العملية حينها كل من جبهة "فتح الشام"، و "جيش الإسلام"، إضافة لـ "أجناد الشام" وغيرهم من الكتائب العاملة في الغوطة الشرقية. وما يزال "جيش الإسلام" يحتجز عشرات الأسرى منهم، بينهم ضباط وعائلاتهم (انظر: الدراسة التي أعدها المركز الاستشاري تحت عنوان "جيش الإسلام الأيديولوجيا الفكرية والرؤى السياسية، ص7).

⁵¹ - عنب بلدي أونلاين، تبادل للمعتقلين بين "فيلق الرحمن" والنظام في الغوطة الشرقية، 11 كانون أول 2016.

⁵² - انظر: "فيلق الرحمن"، الموقع الإلكتروني الرسمي، مرجع سابق.

⁵² - عنب بلدي أونلاين، أمير "الدولة" في الغوطة.. صريعاً على يد "فيلق الرحمن"، 12 شباط 2015.

وفي المقابل، نفّذ عنصر تابع لتنظيم "داعش"، يوم الخميس في 7 أيار 2015، عملية انتحارية، وسط جمع من قيادات "فيلق الرحمن" العامل في دمشق وريفها، نجا منها قائد الفيلق عبد الناصر شمير، لكنها أسفرت عن إصابة 10 من عناصر الفيلق، بينهم 5 قياديين، هم "نائب قائد الفيلق والشيخ أبو ثابت الدمشقي والشيخ أبو نعيم يعقوب، إضافة إلى قياديين آخرين وعناصر الحرس"⁵³.

وعملت فصائل المعارضة في الغوطة الشرقية على استئصال خلايا التنظيم المتواجدة فيها، عبر حملات أمنية مكثفة منذ منتصف العام 2014⁵⁴، إلا أنّ محاولة القضاء على التنظيم، وفقاً للمتحدث باسم "فيلق الرحمن" محمد أبو كمال"، "ليست سهلة، نظراً لسياسة التنظيم في شراء الولاءات"⁵⁵.

الغرف المشتركة

رغم الخلافات البارزة لـ "فيلق الرحمن" والمعارك التي خاضها مع عدد من الفصائل في الغوطة، فقد شارك في عدد من غرف العمليات العسكرية والأمنية المشتركة مع بعض تلك الفصائل أو جميعها، وذلك بدفع من ضغوط الفاعليات المحلية في الغوطة أو من أجل مواجهة الخطر الذي شكّله تحرك الجيش السوري على مواقع ومراكز المسلحين في الغوطة، ما استدعى تجاوز الفصائل المتناحرة لخلافاتها والتجمع. ومن أبرز مواقف الفيلق، بما يتعلق بغرف العمليات المشتركة، الآتي:

- إعلان "فيلق الرحمن" استعداداته لتشكيل "الجيش الواحد" في الغوطة الشرقية، بما يشبه "الجهة الإسلامية" المكوّنة من خليط من الفصائل المسلحة المستقلة، و"التزامه بوثيقة المبادئ الستة التي تمّ التوقيع عليها مع "جيش الإسلام"؛ وذلك إحياء منه بالاستجابة لرغبة أهالي الغوطة الشرقية بتلبية نداء الفاعليات فيها، وما آلت إليه حال المنطقة من صراع حادّ وتقاتل دام، من جهة، بين الفصائل، وتقدّم الجيش النظامي وحلفاؤه في القطاع الجنوبيّ من الغوطة الشرقية، وتمكّنه من السيطرة على نقاط استراتيجية فيها، والحال نفسه بالنسبة لـ "جيش الإسلام" الذي أبدى استعداداته، أيضاً، للمشاركة في هذا المشروع، لكن مع "ضرورة مراعاة بعض الأمور، كإعادة الحقوق وتدعيم الجبهات، وتنفيذ الاتفاق المتفق عليه مع فصائل الغوطة"، لكنّ ذلك بقي "مجرّد أفكار" ومحاولة من جانب الطرفين لامتصاص حالة التدمر التي اعترت الأهالي، والإحياء بتلبية نداء الفاعليات والأهالي أكثر منها مشروعاً جدياً للتوحد ومواجهة التحديات؛ ولذا، اعتبر الناشط المعارض في الغوطة الشرقية أبو بكر عقاب أنّ "نجاح هذا المشروع يحتاج إلى إعادة بناء الثقة بين (جيش الإسلام) و(فيلق الرحمن)، لأنّ الخلافات لا تزال قائمة بين الطرفين" ... وأنّ الفكرة كانت متاحة سابقاً، قبل مقتل زهران علوش (قائد "جيش الإسلام")، "لكنّ الفتنة التي نشأت بينهما وارتفاع منسوب الاحتقان جعل هذه الفرضية صعبة للغاية"⁵⁶.

⁵³ - عنب بلدي أونلاين، الانتحاري صبغ شعره ووضع عدسات قبل العملية: محاولة فاشلة لاغتيال قادة "فيلق الرحمن" في الغوطة الشرقية، 8 أيار 2015.

⁵⁴ - عنب بلدي أونلاين، "الدولة الإسلامية" تقتل عضو المكتب الإعلامي في فيلق الرحمن، 16 أيلول 2015.

⁵⁵ - عنب بلدي أونلاين، أمير "لدولة" في الغوطة.. صريعاً على يد فيلق الرحمن، المرجع السابق.

⁵⁶ - يوسف دياب، "جيش الإسلام" و "فيلق الرحمن" يؤيدان تشكيل "الجيش الواحد" في الغوطة الشرقية، الجمعة 10 حزيران 2016.

- إعلان فيلق الرحمن، يوم الأربعاء 9 أيلول 2015، تشكيل غرفة عمليات مشتركة مع "جيش الإسلام"، وهما الفصيلان الأكبر في الغوطة الشرقية، وعزا البيان تشكيل الغرفة لـ"توحيد القرار العسكري، ووضع الاستراتيجيات التي تلائم متطلبات المرحلة الحالية، وتنسيق كافة الأعمال العسكرية على جميع جبهات الغوطة الشرقية". وتجدر الإشارة إلى أنّ الفصيلين كوّنا، بالإضافة إلى "الاتحاد الإسلامي لأجناد الشام" وفصائل أخرى، في آب من العام السابق، ما يسمى "القيادة الموحدة في الغوطة الشرقية"، لكنّ عمل هذه الغرفة جمّد نتيجة خلافات بين بعض الفصائل المنضوية تحتها⁵⁷.
- مشاركة "فيلق الرحمن" في تشكيل غرفة عمليات عسكرية مشتركة في منطقة مرج السلطان، الثلاثاء 15 كانون الأول 2015 مع كبرى فصائل الغوطة الشرقية الأخرى، بحسب بيان رسمي، بهدف إدارة المعركة في المنطقة، على أن تضمّ ممثلاً عن كلّ فصيل ونائباً عنه، يلتزم بغرفة العمليات. ونصّ البيان على وضع جميع الإمكانيات المتوفرة في خدمة الغرفة، وتعهد الفصائل بتقديم عدد محدّد من المقاتلين مدعّمين بالأسلحة والدّخائر. علماً بأنّ مرج السلطان يشهد "خلافات عميقة بين فصائل الغوطة، ولا سيما بين "جيش الإسلام" و"فيلق الرحمن" من جهة، و"الاتحاد الإسلامي لأجناد الشام" و"أحرار الشام" و"جبهة النصرة" من جهة أخرى. وتأتي الخطوة في إطار مواجهة الحملة البرية الواسعة التي يشنّها الجيش السوري على بلدة مرج السلطان منذ مطلع تشرين الثاني 2015⁵⁸.
- مطالبة "فيلق الرحمن"، في بيان يوم الأربعاء 24 آب 2016، بضرورة تشكيل غرفة عمليات عسكرية "مستعجلة" مع "جيش الإسلام" وباقي فصائل الغوطة الشرقية، إثر التقدّم الذي أحرزته قوّة النظام السوري وحلفاؤه في شرق مدينة دوما، وطالب الفيلق "جيش الإسلام" بضرورة "فتح الطرقات أمام مؤازرات إخوانهم في "فيلق الشام" وباقي الفصائل، لدفع العدو عن جبهات الغوطة وبلداتها". كما طالب الفصيل "أهل الحلّ والعقد في الغوطة للتدخل في الأمر، وإنقاذ المركب، فغرق مقدّمة السفينة غرق للسفينة كلّها"⁵⁹.

⁵⁷ تأسست القيادة الموحدة للغوطة الشرقية في آب 2014، وضمت أبرز فصائل منطقة الغوطة الشرقية، وقادها زهران علوش قائد جيش الإسلام، ونابه أبو محمد الفاتح قائد الاتحاد الإسلامي لأجناد الشام. أما النقيب عبد الناصر شمير قائد فيلق الرحمن، فتولى منصب القائد العسكري فيها.

⁵⁸ - عنب بلدي أونلاين، الغوطة الشرقية.. غرفة عمليات مشتركة بين فيلق الرحمن وجيش الإسلام، 9 أيلول 2015.

⁵⁹ - ضمت غرفة العمليات المشتركة كلاً من جيش الإسلام، وحركة أحرار الشام الإسلامية، وفيلق الرحمن، والاتحاد الإسلامي لأجناد الشام، وجبهة النصرة.

⁵⁸ - عنب بلدي أونلاين، فصائل الغوطة تشكل غرفة عمليات لمرج السلطان وتستعيد المطار، 15 كانون الأول 2015.

⁵⁹ - عنب بلدي أونلاين، "فيلق الرحمن" يطالب "جيش الإسلام" بتشكيل غرفة عمليات "مستعجلة"، 24 آب 2016.

موقف فيلق الرحمن من مبادرة التسوية

"فيلق الرحمن" هو أحد الفصائل المشاركة في اجتماع "الهيئة السياسية في الائتلاف الوطني لقوى الثورة والمعارضة" * يوم الأحد 14 أيلول 2015، والذي شارك فيه أعضاء المكاتب السياسية لعدد من القوى والفصائل المسلحة الرئيسية بشأن البيان الرئاسي لمجلس الأمن الصادر بتاريخ 17 آب 2015 والخطة المقدمة من المبعوث الأممي الخاص إلى سوريا ستيفان دي مستورا، الثلاثاء 15 أيلول من العام نفسه. واعتبرت الفصائل في بيان مشترك أن الاجتماع "يبيّن لبيئة مواتية لبداية مفاوضات سياسية موضوعية وبناء الثقة بين الأطراف". ورحبت بالدعوة إلى الشروع في عملية سياسية تفضي إلى انتقال سياسي، وفق بيان جنيف الذي ينصّ على هيئة الحكم الانتقالي التي تبدأ فور الاتفاق على الحل، وتمارس كامل السلطات التنفيذية، بما يشمل صلاحيات رئيس الجمهورية.

وشدّدت على عدد من الشروط التي عدتها أساسية للمضي في العملية السياسية، أبرزها:

- رحيل (الرئيس السوري بشار) الأسد وكافة أركان نظامه، وألا يكون لأيّ منهم مكان أو دور في سوريا الجديدة والمرحلة الانتقالية.
- تطبيق القرار رقم 2139 الذي يدعو إلى كفّ جميع الأطراف عن شنّ أيّ هجمات ضدّ المدنيين وعن أيّ استخدام عشوائي للأسلحة في المناطق المأهولة بالسكان.
- تطبيق قرار مجلس الأمن رقم 2165 الصادر عام 2014، ويتيح لجميع أطراف النزاع السوريّ إيصال المساعدات الإنسانية بشكل فوريّ دون عوائق وبشكل مباشر إلى الناس.
- رفض إغفال ما أسمته "مجموعات إرهابية" و "طائفية" استدعاها النظام واحتضنها، كالحرس الثوري الإيراني وحزب الله اللبناني، وإدراجها على قائمة الإرهاب.
- إبعاد إيران وروسيا عن أيّ مشاورات خاصة بسوريا.
- حلّ الأجهزة الأمنية وإعادة هيكلة مؤسستي الجيش والقضاء.
- الشروع مباشرة بتنفيذ بيان جنيف محاطاً بضمانات إقليمية ودولية "دون اللجوء إلى إجراءات ولجان تفرغ بيان جنيف من محتواه" ⁶⁰.

"فيلق الرحمن" ووثيقة "المبادئ الخمسة للثورة"

وشارك "فيلق الرحمن" في توقيع وثيقة ما يسمى "المبادئ الخمسة للثورة" التي أطلقها ما عرف بـ "المجلس الإسلامي السوري"، في مؤتمر صحفيّ في مدينة اسطنبول التركية، الجمعة 18 أيلول 2015، ووقع عليها "هيئات شرعية وقضائية وفصائل ثورية وكيانات سياسية ومنظمات وروابط المجتمع المدنيّ والمجالس المحلية

* أبرز الفصائل التي شاركت في الاجتماع: جيش الإسلام، الاتحاد الإسلامي لأجناد الشام، الجبهة الشامية، أحرار الشام، كتائب نور الدين الزنكي، جبهة الأصالة والتنمية، تجمع فاستقم كما أمرت، لواء شهداء الإسلام، فيلق الشام، لواء صقور الجبل، تجمع صقور الغاب، ألوية الفرقان، الفوج الأول، جيش التوحيد، جيش المجاهدين وفيلق الرحمن.

⁶⁰ - عنب بلدي أونلاين، في بيان مشترك أكبر فصائل الثورة السورية تحدد موقفها من خطة دي مستورا، 15 أيلول 2015.

والشخصيات والرموز الوطنية"، وتضمنت الوثيقة خمسة مبادئ أساسية للثورة السورية، اعتبر "المجلس الإسلامي" أنها "لتحقيق توافق بين الكيانات والفصائل الثورية على مجموعة مبادئ وثوابت وطنية، ولقطع الطريق على المحاولات التي تبذل حالياً لإجهاض الثورة السورية وإعادة تأهيل نظام الأسد". والمبادئ التي نصت عليها الوثيقة هي: إسقاط (الرئيس) بشار الأسد وكافة أركان نظامه، وتقديمهم للمحاكمة العادلة، وتفكيك أجهزة القمع الاستخباراتية والعسكرية، وبناء أجهزة أمنية وعسكرية على أسس وطنية نزيهة، مع المحافظة على مؤسسات الدولة الأخرى، وخروج كافة القوى الأجنبية والطائفية والإرهابية من سوريا، ممثلة بالحرس الثوري الإيراني، وحزب الله، وميليشيا أبي الفضل العباس، وتنظيم الدولة، والحفاظ على وحدة سوريا، أرضاً وشعباً، واستقلالها وسيادتها وهوية شعبها، ورفض المحاصصة السياسية والطائفية".

والمبادئ التي تضمنتها الوثيقة هي نفسها المبادئ العامة المعروفة لدى ممثلي فصائل المعارضة في مفاوضات التسوية السياسية في سوريا، أو، حسبما ورد في المؤتمر الصحفي، أن الوثيقة "ستشكل ورقة قوة للمفاوض السوري؛ لأنه أصبح يفاوض ولديه مرتكزات وثوابت، لا يمكن الخروج عنها. أما الآليات، فهي متروكة للمفاوضين السياسيين ليقوموا بما يستطيعون من جهد وتحقيق إنجازات للشعب السوري على ألا تتجاوز هذه الثوابت"⁶¹.

موقف "فيلق الرحمن" من قرار الهدنة في القاهرة

ورغم محاولات إبراز امتعاضه المتكرر من المحادثات السياسية مع النظام السوري ورفضه الرعاية الروسية والمشاركة الإيرانية في المحادثات والاتفاقيات المنبثقة عنها، فقد كان "فيلق الرحمن" أحد القوى والفصائل المسلحة المعارضة التي كان لها تمثيل سياسي في المحادثات الدولية والموقعين على الاتفاقيات المنبثقة. وقد شارك "فيلق الرحمن" في محادثات "أستانة" في 23 كانون الثاني 2017، إلى جانب فصائل أخرى معارضة، وهو أحد الموقعين على كل من اتفاقية "إقامة مناطق خفض التصعيد بسوريا" الموقع في أستانا في أيار 2017، واتفاقية "الهدنة بالغوطة الشرقية" المنبثقة عن اجتماع القاهرة برعاية روسية في تموز 2017، واتفاقية "جنيف" المتعلقة بنظام وقف إطلاق النار في منطقة خفض التصعيد في الغوطة الشرقية في 18 آب 2017.

وعقدت يوم الاثنين 23 كانون الثاني 2017 جولة محادثات بين وفدي الفصائل العسكرية والنظام بحضور الدول الضامنة (تركيا، روسيا وإيران)، وانتهت الجلسة الأولى منها بإصدار الدول الثلاث مسودة بيان، أكدوا فيها إصرارهم على محاربة تنظيم "داعش" و"جبهة فتح الشام" (جبهة النصرة سابقاً)، وفصلهما عن الفصائل العسكرية في سوريا، وقال المصدر إن "فيلق الرحمن" الذي أعلن في وقت سابق عدم مشاركته بمحادثات "الأستانة"، انضم اليوم إليها، دون ذكر عدد ممثليه وشخصياتهم⁶².

⁶¹ - عنب بلدي، بتوقيع كبرى الفصائل العسكرية، المجلس الإسلامي السوري يطلق وثيقة "المبادئ الخمسة للثورة"، 20 أيلول 2015.

⁶² - هبة دباس، انضمام "فيلق الرحمن" و"الجبهة الجنوبية" إلى محادثات "الأستانة"، سمارت نيوز، 23 كانون الثاني 2017.

خلاصة عامة

يحاذر "فيلق الرحمن" بصورة لافتة أن يتّصف بالسلفية، بل يسعى لإبراز صورة معتدلة في خطابه، انسجماً مع نتمائته إلى "الجيش السوري الحرّ"، ويعمل على تقديم نفسه كأحد الفصائل السوريّة التي لا تتعدّى أهدافها البعد الداخلي (الوطني) المرتبط بالعمل على إسقاط النّظام السوري برئاسة الرئيس بشار الأسد، والحفاظ على الدّولة ومقوّماتها واستقلالها، إلا أنّ واقع الفيلق الذي حكم علاقته وارتباطاته مع فصائل سلفيّة متشدّدة، وفي مقدّمها "هيئة تحرير الشّام"، ومشاركته لها في العديد من الوقائع والأحداث العسكريّة والأمنيّة، والارتباط بدول خارجيّة راعية للجماعات المتشدّدة وداعمة لتفكيك الدّولة وتقسيمها، إضافة إلى الخطاب السياسي المتشدّد ومواقفه وشروطه المعلنة من التّسوية السياسيّة، واتفاقيّات الهدنة وخفض التّصعيد، أفقده إلى حدّ كبير جدّاً سمة الاعتدال، والحرص على بناء الدّولة والحفاظ على مؤسّساتها وقوّتها وتماسكها.

ومن ناحية أخرى، فإنّ تواجد "فيلق الرحمن" في منطقة الغوطة ونزاعه المستمر وقتاله المتكثّر مع الفصائل الأخرى، وبخاصّة "جيش الإسلام" جعل منه فصيلاً مرتباً، ومتأرجحاً في مواقفه، ويعاني من قلق وخوف دائم من مواجهة المستقبل وعدم الاستقرار، والانشغال أكثر بالحفاظ على وجوده وأماكن تركزه، وبنيتة وقوّته.

ومما لا شك فيه أنّ سعي "فيلق الرحمن" الحثيث للالتفاف على تمادي "جيش الإسلام" في محاولات مدّ نفوذه في الغوطة، وبالتالي، دخول الفيلق في نوع من المنافسة القويّة على التّفوذ والقوّة، من شأنه أن يجعل جهوده تنصبّ بالدرجة الأولى على المواجهة الداخليّة مع "جيش الإسلام" أكثر من تركيزه على المواجهة مع النّظام، والعمل على حماية ذاته وتثبيت وجوده أكثر من إسقاط النّظام وإعادة بناء دولة جديدة، وفق أهدافه المعلنة.





المركز الاستشاري للدراسات والتوثيق
The Consultative Center for Studies and Documentation

مؤسسة علمية متخصصة تُعنى بحقلي
الأبحاث والمعلومات ، وتهتم بالقضايا
الاجتماعية والاقتصادية وتواكب المسائل
الاستراتيجية والتحولت العالمية المؤثرة.

هاتف: 03/836610

فاكس: 01/836611

خليوي: 03/833438

البريد الإلكتروني:

dirasat@dirasat.net

www.dirasat.net

الرمز البريدي:

Baabda 10172010

P.O. Box: 24/47

Beirut - Lebanon

صادر عن المركز الاستشاري للدراسات والتوثيق

اعداد : مديرية الدراسات الاجتماعية

تاريخ النشر: كانون الأول 2017

العدد : الخامس

الطبعة الاولى

القياس: 24 × 29